

بلاغة الترابط النصي في الخطاب القرآني عن المرأة

The Rhetoric of Textual Cohesion in the Qur'anic Discourse on Women

الدكتورة: سميرة لعوير

Dr. Laouir Samira

جامعة أكلي محند أولحاج -البويرة- (الجزائر)، s.laouir@univ-bouira.dz

تاريخ النشر: 2026/05/31

تاريخ القبول: 2026/02/06

تاريخ الاستلام: 2025/08/13

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى استقراء آليات الترابط النصي في القرآن الكريم، من خلال الحديث عن الوسائل اللغوية التي تكفل تحقيق الترابط والتماسك بين البنى السطحية للنص التي تتيحها عناصر الاتساق النحوي والمعجمي، وذلك من خلال تحليل نماذج من الآيات في الخطاب القرآني عن المرأة وشخصيتها وخصائصها النفسية والبيولوجية، ودورها في الأسرة والمجتمع، وحقوقها وواجباتها، والتطبيق عليها في ضوء تصورات علم اللغة النصي ومعاييره وأدواته، للكشف عن مدى قدرة المنهج على بيان بلاغة وتماسك النص القرآني المعجز وجمالية انسجامه وترابطه الدلالي.

كلمات مفتاحية: لسانيات النص، الترابط النصي (الاتساق)، أدوات الترابط، الخطاب القرآني، المرأة.

Abstract

This research paper aims to explore the mechanisms of textual cohesion in the Holy Qur'an by highlighting the linguistic means that ensure coherence and cohesion between the surface structures of the text, through syntactic and lexical cohesive elements. The study involves the analysis of selected Qur'anic verses related to women - their personality, psychological and biological traits, roles within the family and society, as well as their rights and duties. The paper applies the concepts, criteria, and tools of textual linguistics to assess the extent to which this approach can reveal the rhetorical power, miraculous cohesion, and harmonious beauty of the Qur'anic text.

Keywords: textual linguistics, textual cohesion, cohesive devices, Qur'anic discourse, women.

المؤلف المرسل: د. سميرة لعوير، الإيميل: s.laouir@univ-bouira.dz

1. مقدمة:

يشكّل مفهوم النص وكذا المعايير التي تتحقّق بها نصيّته محور الدّرس النصّي الحديث، حيث يعنى هذا العلم بدراسة النصّ وتحليل أجزائه للكشف عن دلالاته بعدّه بنية مترابطة، ويعدّ الترابط النصّي أهم محور من محاوره التي تتصل بالنصّ في ذاته وهما معياري الاتساق والانسجام.

ومن هذه الوجهة تمخضت هذه الورقة البحثية لتدرس النصّ المعجز في خطاب المرأة من منظور علم اللغة النصّي، كون النصّ القرآني معجز بلغته ونظمه وبيانه وأسلوبه، فالقرآن الكريم بلغ من تناسقه وترباط أجزائه وتماسك كلماته وآياته وسوره وتنوع مقاصده التي تناولت موضوعات شتى في الأمور الدنيوية والأخروية، والتي جاءت كلّها في غاية الدقّة والإحكام وروعة البلاغة والبيان مبلغاً لم يبلغه فصحاء وبلغاء العرب. كتاب أعجز به الله عزّ وجل العلماء بما تضمنه من وجوه متعددة في الإعجاز ومنها الإعجاز اللّغوي الذي يظهر في روعة المباني ودقائق المعاني، لذا فقد أولى علماء العرب القدامى كتاب الله عزّ وجل عناية خاصة، فكرّسوا جهودهم لخدمة هذا النصّ المقدّس ودراسته وبيان أوجه الإعجاز فيه.

حيث سنحاول في هذه الورقة البحثية عرض جملة من النماذج من الآيات القرآنية لصورة المرأة وشخصيتها وخصائصها النفسية والبيولوجية، ودورها في الأسرة والمجتمع، وحقوقها وواجباتها. فقد وردت أساليب خطابية متنوعة عن المرأة في أكثر من خمسة عشر سورة سواء في الخطاب الذي صدر إليها، أو صدر عنها، أو ما أجراه الله سبحانه وتعالى على لسانها. والتطبيق عليها من خلال الحديث عن الوسائل اللّغوية التي تضمن الترابط والتماسك بين العناصر السطحية للنصّ التي تتيحها عناصر الاتساق التّحوي والمعجمي، وذلك من خلال تحليل جملة من الآيات في الخطاب القرآني عن المرأة والتطبيق عليها في ضوء تصورات علم اللّغة النصّي ومعاييره وأدواته، لبيان أثر هذا الترابط في تشكيل المعنى وتعزيز انسجام النصّ القرآني.

وانطلاقاً من هذا الطرح تمخضت الإشكالية المحورية التالية: كيف تجلّت بلاغة الترابط النصّي في الخطاب

القرآني عن المرأة؟. وتنضوي تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات التي تبحث في:

- ما هي آليات الترابط النصّي التي تجسدت في خطاب القرآن الكريم عن المرأة؟
- إلى أي مدى أسهمت آليات الترابط النصّي في تحقيق التماسك في آي القرآن الكريم عن المرأة؟.

وتوزعت الدراسة على محورين أساسيين؛ المحور الأول تطرقنا فيه إلى مفهوم الترابط النصي ومعنى الاتساق وأدواته، والمحور الثاني قمنا فيه بالتطبيق على النصوص القرآنية عن المرأة من خلال استخراج آليات الاتساق النحوي والمعجمي المتمثلة في: الإحالة، الاستبدال، الحذف والربط، التكرار والمصاحبة المعجمية.

كرّم الإسلام المرأة تكريماً، فرفع من شأنها وجعلها عنصراً فاعلاً في المجتمع، وأعطاه مكانة مرموقة، بعد أن كانت في عصر الجاهلية تظلم وتؤاد، فجاء القرآن الكريم وبيّن مكانتها وأقر بإنسانيتها، فساوى بينها وبين الرجل في بعض الحقوق والواجبات، وبيّن ما لها من مكانة وما عليها من مسؤوليات، ولقد ورد ذكر المرأة في مواضع عديدة من القرآن الكريم بدورها في الحياة فهي: الأم، البنت، الأخت، الزوجة، وبكل حالاتها الاجتماعية كالمتروجة، والأرملة والمطلقة والعزباء، وبكل صفاتها كالمرأة المؤمنة المسلمة، والكافرة... ضمن سياقات متنوعة ومواقف متعددة وقصص ذات دلالات غنية وعبر، في خطابات خصّ بها الله سبحانه وتعالى المرأة كخطاب التشريف في قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾، وخطاب الأمر في قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، وخطاب السخرية، والتجريم والنصح والإرشاد، وخطابات أخرى في الحقوق والواجبات، علاوة على ذلك أشركها الله سبحانه وتعالى في مقامات مع الرجل في العقيدة والأخلاق.

ومن هنا تتطرق هذه الدراسة لتتبع تلك المواضيع، مستتيرة بتصورات علم اللغة النصي، سعياً إلى الكشف عن الأبعاد اللغوية والدلالية التي تشكل صورة المرأة في الخطاب القرآني.

2. مفهوم الترابط النصي (textual cohesion):

الترابط هو قوام النص، أو هو شرط أولي لكي يكون الكلام نصاً، فالنص لدهما يرتبط بالجملة بالطريقة التي ترتبط بها الجملة بالعبارة. ومن هنا يكون الترابط النصي هو وجود علاقة بين أجزاء النص أو جمل النص أو فقراته فهو السمة التفاعلية المميزة للنص (المنظري، 2015م، صفحة 45)، ويقتضي هذا «الترابط من الإجراءات ما يكون به "ظاهر النص" مبنياً بعضه على بعض نحوياً، وما يكون به عالم النص مبنياً بعضه على بعض دلالياً، ومن ثم يكون النص مسبوكاً محبوباً. ولكلا الترابطين معياران هما: السبك Cohesion، والحبك Coherence» (المجيد، 2003م، صفحة 145).

فالترابط النصي يتحقق من خلال شكلين هما الترابط الرصفي والترابط المفهومي (أي من خلال معياري الاتساق والانسجام الدلالي)، فالترابط الرصفي هو «أقرب إلى ظاهر النص، ويرتبط بالدلالة النحوية التي تعنى بكيفية انتفاع المتلقي بالأنماط والتتابعات الشكلية في استعمال المعرفة والمعنى ونقلهما وتذكرهما. أما الترابط

المفهومي فهو أقرب إلى تلك الروابط التضمنية... ويتصل هذا النوع بالنحو الدلالي الذي يهتم بكيفية ارتباط مفاهيم مثل: فاعل وحدث وحالة وصفة من أجل إيجاد معنى كلي للنص» (عيفي، 2001م، صفحة 103).

وسنركز في بحثنا هذا على وسائل الترابط الرصفي، وهو المصطلح الذي يقصده روبرت دي بوجراند في كتابه "النص والخطاب والإجراء" باعتباره أحد آليات الاتساق النصي التي تضمن ترابط البنى السطحية للنص؛ فهو «كل نشاط وكل إجراء غايته رصف عناصر اللغة في ترتيب نسقي مناسب بحيث يمكن للكلام أو الكتابة أو السماع أو القراءة أن تتم في توال زمني» (ديبوجراند، 1998م، صفحة 136).

كما يطلق مصطلح الترابط الرصفي عادة على التماسك النصي أو مصطلح "الاتساق" (Cohesion)، حيث نجد أن الترجمة العربية لهذا المصطلح تختلف من باحث إلى آخر، حيث ترجمه كل من سعد مصلوح وتام حسان إلى "السبك"، ومحمد خطابي "الاتساق"، ونجد أحمد عيفي يستعمل مصطلح التماسك النصي، وغيرها من الترجمات. ونعني به «ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة لنص/ خطاب ما، ويهتم بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمته» (خطابي، 1991م، صفحة 05).

يختص الاتساق (Cohesion) بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص Surface Texte. ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق. وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية، ولكنها لا تشكّل نصاً إلا إذا تحقّق لها من وسائل السبك ما يجعل النصّ متحفظاً بكيونته واستمراريته. (مصلوح، 1991م، صفحة 154).

ويتصل هذا المعيار بالنص في ذاته «وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية Surface على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق Progressive occurrence بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي Sequential connectivity وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط. ووسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات Phrases والتراكيب Clauses والجمل وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية Pro-forms والأدوات والإحالة المشتركة Co-reference، والحذف والروابط Junctions» (ديبوجراند، 1998م، صفحة 103).

فالآتساق يدلّ على العناصر الشكلية التي تحقق الترابط بين أجزاء النص كالكلمات والجمل والمقاطع، وبتعريف آخر هو مجموع الوسائل الرابطة بين عناصر الجملة وبين الجمل، والتي تخول له بأن يبدو في شكل نص، وقد أسبق روبرت دي بوجراند على آليات الاتساق بعداً تداولياً وآخر دلالياً وتتلخص وسائل الاتساق لديه في الإحالة، الاستبدال، الحذف، والربط. والاستبدال، والتكرار، والتضام.

وستنطبق لدراسة كل عنصر منها على حده بشيء من التفصيل والتمثيل له بآيات متفرقات من الذكر الحكيم التي تتحدث في شؤون المرأة.

3. آليات الاتساق في خطاب القرآن الكريم عن المرأة.

1.3 الإحالة: و«هي العلاقة بين العبارات والأشياء Objects، والأحداث Events والمواقف Situations في العالم الذي يُدَلّ عليه بالعبارات ذات الطابع البدائي في نصّ ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النصّ» (ديبوجراند، 1998م، صفحة 320).

وتعدّ من أهم وسائل الرّبط النصّي وهي على وجهين نصّية ومقاميّة، والعناصر الإحالية في كلا النوعين تعود إمّا على عنصر داخل النصّ وتكون قبله أو بعده، وإمّا على عنصر خارج النصّ. والإحالة بنوعها النصّية والمقامية لا تتمّ إلّا بمجموعة من الوسائل هي: الضّمائر وأسماء الإشارة والموصول وأدوات المقارنة، وتعمل هذه الوسائل على ربط أجزاء النصّ، وإعادة استحضار عناصر داخلية سواء قبلية كانت أم بعدية في الدّاخل اللّغوي للنصّ أو عناصر خارجة عنه.

3. 1. 1 الإحالة النصّية: وهي إحالة على العناصر اللّغويّة تحيل على عنصر داخل النصّ وتكون قبلية أو بعدية. فالأولى تسمى إحالة على السّابق ويسمّيها روبرت دي بوجراند الإضمار بعد الذّكر Anaphora وهو نوع من الإحالة المشتركة يأتي فيها الضّمير بعد مرجعه في النصّ السّطحي، وهذا يعني أنّها تعود على لفظ تمّ ذكره في موضع سابق بدلا من إعادة إظهاره. أما الثانية وتسمى إحالة على اللاحق ويسمّيها دي بوجراند الإضمار قبل الذّكر Cataphora وهو نوع من الإحالة المشتركة يأتي فيه الضّمير قبل مرجعه في النصّ السّطحي (ديبوجراند، 1998م، صفحة 301). فهي تعود على لفظ مذكور بعدها والإحالة لا تكون بالضمير فقط بل بوسائل مختلفة كأسماء الإشارة والموصول إلّا أنّ الضمير يعدّ من أهمّ وسائلها.

تجلت الإحالة النصّية في الخطاب القرآني المتعلق بالمرأة بشكل لافت، إذ تعددت مواضعها وتنوعت أدواتها؛ حيث لم تقتصر على أسلوب واحد ولا على سياق بعينه، بل وردت في صور شتى وبأدوات متعددة عكست بلاغة التعبير القرآني وإعجازه في تناول قضايا المرأة، وقد كشفت عملية الإحصاء لآيات الذكر الحكيم التي تناولت المرأة عن حضور لهذه الإحالات، الأمر الذي يدل على عناية النص القرآني بإبراز مكانة المرأة ضمن بنيته الخطابية، سواء من حيث الوظيفة الدلالية للإحالة أو من حيث الأبعاد البلاغية والسياقية التي تضطلع بها في البناء النصّي العام؛ وسنمثل بآيات متفرقات من الذكر الحكيم لظاهرة الإحالة النصّية والتي نستلها بسورة البقرة.

تواترت الروابط الإحالية النصية عن طريق الضمائر (ضمير الغائب: هن) على مستوى أكثر من آية في سورة البقرة (من آ 221 إلى آ 241) والتي تحيل إلى (النساء: الحائض، المطلقة، الأرملة، المرضعة، المعتدة)، حيث تضمنت هذه الآيات مجموعة من الأحكام التي تتعلق بالمرأة في أمور كثيرة في آيات متعددة وكلها تتعلق بفقه النساء في أحكام الزواج والطلاق، والعدة، وأحكام الحيض، ونكاح المشركات، والنفقة، والرّضاة، الحضانة حيث بينت الآيات ما للنساء وما عليهن من حقوق وواجبات مما يدل على الاهتمام الكبير الذي أولاه الإسلام للمرأة باعتبارها أهم ركيزة في المجتمع فهي الأم والمربية والزوجة والمعلمة التي يتحقق بصلاحتها صلاح المجتمع ككل.

والملاحظ أنّ الآيات جميعها في السورة تكرر فيها الضمير "هن"، والتي بلغ عددها حوالي ثمانية وأربعين ضميرا في: (لا تقربوهن، يطهرن، أجهلن، تمسوهن، بلغن، بأنفسهن، سرحوهن، يرضعن، طلقتموهن، كسوتهن، يكتمن، يتربصن، أرحامهن، يؤمن، بعولتهن، ردهن، لهن، عليهن...)، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: 222). ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: 228).

فالإحالة النصية تظهر؛ حيث يوظف النص القرآني الضمائر بصيغة المؤنث المفرد أو الجمع (الهاء، هن) للإشارة إلى النساء، المطلقات، الزوجة حسب الاسم الصريح الذي جاء به السياق ففي قوله تعالى: «والمطلقات يتربصن بأنفسهن... يكتمن» نجد الأفعال تحمل ضميرا مستترا يعود على المطلقات، مما يحافظ على وحدة الإطار الموضوعي، والإحالة بالضمير "هن" في السورة تشير بدقة إلى النساء حسب الحالة التي ذكرت فيها (الزوجة، المطلقة، المعتدة، المرضعة، الأرملة) والتي تضمن التخصيص الدلالي بحيث لا يشمل الحكم غير الفئة المقصودة بالحكم الشرعي؛ والمتدبر هنا يجد أنّ من سنّ الأحكام والقوانين ليس الرجل الذي هو الزوج أو الأب بل الله عز وجل وضمن لها حقوقها وما لها وما عليها.

وهذه الإحالة الضميرية تسهم في الإيجاز البلاغي إذ تختصر إعادة الاسم كل مرة وتبقي الذهن متصلا بالمرجع السابق والسياق التشريعي، وتمنح النص طابعا عاما يشمل جميع الحالات المماثلة في الحكم.

ومن الإحالة بالضمير أيضا في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَعْصُونَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا

لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوِ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ إِخْوَانُ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ بِنَاتِهِنَّ أَوْ بَنَاتَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّبِيعِينَ غَيْرَ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضُرُّنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِعُعْمٍ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُؤْنَسُ إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ (النور: 31)، ففي هذه الآيات خطاب للمرأة، وفيه أمر من الله تعالى موجه للنساء المؤمنات (قل للمؤمنات) بالتستر وغض البصر وعدم إبداء الزينة، ولأنَّ المرأة مفطورة بحب الزينة والجمال لأنَّ الزينة من صفات النساء، وهي من الأمور المباحة في حدود ما يسمح به الشرع، فبين الله عزَّ وجل ما يجب أن تكون عليه المرأة المسلمة في هذه الآية الكريمة. فنجد الإحالة النَّصِيَّة بالضمير المتَّصل (هَنَّ) وهي إحالة قبلية تحيل على عنصر سابق "المؤمنات" في قوله (يغضضن من أبصارهنَّ، يحفظن فروجهنَّ، لا يُبيدين زينتهنَّ، ليضربن بخرمهنَّ، لا يضربن بأرجلهنَّ)، فالضمير "هنَّ" يحمل دلالة التخصيص؛ أي تخصيص الخطاب للنساء دون الرجال وتوكيد استقلال الخطاب؛ حيث تحدد الفاعل جنسا وعددا (المؤمنات من النساء)، فيختصر اللفظ ويتسع المعنى فيغني الضمير عن تفصيل طويل، ويحمل الدلالة الكاملة بجمال بياني. والمتأمل يجد تكرار الضمير "هَنَّ" ولَّد تكرارا لحرف النون المشددة في أواخر الكلمات (يحفظنَّ) في توافق الفواصل وهذا ما خلق توازنا صوتيا وجمالا إيقاعيا محكما.

ومن الإحالة البعدية ما يتحقق من خلال اسم الموصول "التي" في قصة سيدنا يوسف عليه السلام ومراودة امرأة العزيز له في قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (يوسف: 23). ففي هذه الآية إحالة بعدية باسم الموصول "التي" الذي يحيل على "امرأة العزيز" حيث لم يرد ذكرها صراحة إلا في الآية التي تلحقها في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَلْهَى عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ (يوسف: 30). كما نجد الإحالة النصية في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهِ؟ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَذِبِينَ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ (يوسف: 50). حيث تعود الإحالة النصية على العنصر الإشاري (النسوة) من خلال الاسم الموصول (اللاتي) الذي يحيل إحالة قبلية.

ومن الإحالة الضميرية أيضا التي تعود على العنصر الإشاري "امرأة العزيز وعلى النسوة". في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ الْمَسْجُونِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ۖ﴾ (٣٣) فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾، و﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتَنِّي يُوْسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۖ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ إِنَّنِ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنِ نَفْسِهِ ۚ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝٥١﴾ (يوسف: 51). حيث يحيل الضمير " الهاء " في لفظة (راودته، بيتها، شغفها)، والضمير المستتر في (غلقت، وقالت)، وهو ضمير الغائب المؤنث المفرد (هي) الذي يحيل على امرأة العزيز. ويعود الضمير (هَنَ) في لفظة (كيدهنّ التي تكررت مرتين متتاليتين في الآيتين) على كيد النسوة وكيد امرأة العزيز وهي إحالة نصية قبلية. ونجد "كاف" الخطاب و"نون" النسوة التي تعود على النسوة وامرأة العزيز في قوله: (ما خطبك). نلاحظ تكرار الإحالة بالضمير في السورة في مواضع كثيرة، إذ تكرر الضمير المستتر العائد على امرأة العزيز والنسوة في مواضع عدة، ودلّ الضمير المستتر على تأجيل التصريح بالفاعل أو إبهامه لحظة قبل التصريح به في السياق اللاحق، فلو تدبرنا أنّ الله عزّ وجلّ وظف الضمير المستتر للنسوة على المرأة رغم وقوعها في الخطأ ولم يأت الاسم صريحا إلا في الآية التي بعدها وأجره الله سبحانه وتعالى على لسان النسوة (وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه)، ما يبرز قيمة المرأة في الخطاب القرآني وفضل الله عزل وجل في ستر عباده. في حين أن الضمير الظاهر في (هي راودتني، أنا راودته عن نفسه) الذي يعود على امرأة العزيز وهي أحوال نصية قبلية؛ يحمل دلالة الإقرار والاعتراف بعد ظهور الحقيقة.

فالإحالة بالضمير تغني عن تكرار وإعادة الألفاظ في السورة، وبذلك تحقق الاختصار والإيجاز «فضلا عن أنّ استتار الضمائر يكون تخفيفا من إطالة العنصر اللغوي جملة وتركيبا» (عفيفي، 2001م، صفحة 344). وتحقق الاتساق في النص من دون تكرار، فإنّها تسهم في ربط الجمل دلاليا بين السابِق واللاحق، حيث حققت ترابطا في أحداث القصّة من الأوّل إلى الآخر وأعطت القصة حيوية واستمرارية.

3. 1. 2 الإحالة المقامية: ويسمّيها دي بوجراند الإحالة لغير المذكور؛ حيث «تعود الكنائيات في الإحالة لغير مذكور إلى أمور تستنبط من الموقف لا من عبارات تشترك معها في نفس النص أو الخطاب» (ديبوجراند، 1998م، صفحة 332)، لذا تعدّ الإحالة المقامية إحالة عنصر لغوي إلى ما هو خارج لغوي. ومثال ذلك في القرآن الكريم ما يلي:

فقد جاء ذكر غيرة المرأة في القرآن الكريم ضمنيا في سورة التحريم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٢ وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ٣ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ٤﴾، (التحريم: 1، 4)، فهذه الآيات تدل على غيرة زوجات النبي "صلى الله عليه وسلم" عائشة وحفصة "رضي الله عنهما"، فلقد حدث من التعاون بينهما على ما ساء النبي "ص" بسبب الغيرة _ فالغيرة أمر شائع لدى النساء، وهي صفة في النساء أكثر منها في الرجال _ ما اقتضى عتابهما وتحذيرهما الشديد من الله تعالى، فنزلت الآية وفيها قرائن لفظية (أزواجك، بعض أزواجه، إن تتوبا إلى الله) ففي هذه الآية إحالة مقامية لزوجات النبي "ص" عائشة وحفصة "رضي الله عنهما" ولم يرد ذكرهما في السورة ولا يدرك القارئ العنصر الإشاري إلا من خلال العودة إلى مناسبة السورة (المقام).

كما يحيل الضمير في (طَلَقْنَ: كاف الخطاب، والنون) في قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِمَّنْ مَسَّيْتُمُومَنَاتٍ قَلِيلَاتٍ تَلْبِسُ عِيدَاتٍ سَاحَاتٍ وَبَكَارًا ٥﴾ (التحريم: 5)، تتجلى الإحالة المقامية من خلال الضمائر المتصلة في لفظتي (طَلَقْنَ، وَمَنَنْ) وهي إحالة خارجية تعود على زوجات الرسول "ص"، فلم يرد ذكر الأسماء صراحة في الآية بل أحيل عليها بقرائن لفظية اسمية في الآيات السابقة (أزواجك، بعض أزواجه) ولم يذكر الاسم صريحا على سبيل الإحالة المقامية ويفهم من السياق.

2.3 الاستبدال: يعد أحد وسائل الاتساق في المستوى النحوي، وهو عملية تمس بعض العناصر داخل النص، فالاستبدال «هو تحريك يستهدف وحدة ما بوحدة أخرى داخل سياق معين» (بريور، 2007م، صفحة 27)، وبذلك فهو ظاهرة لغوية تسهم في ترابط أجزاء النص لا تقل أهمية عن غيرها من الظواهر الاتساقية الأخرى، وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع هي: استبدال اسمي وفعلي، واستبدال قولي.

3. 2. 1 استبدال اسمي: وفيه تستعمل عناصر مثل: آخر، آخرون، واحدة، نفسه، أخرى، غيرها... . نحو قوله تعالى في سورة الطلاق: ﴿وَالَّتِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ٦ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ٧﴾ ذَلِكَ

أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٦﴾ أَسْكُونُ مِنْ حَيْثُ سَكَتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارَوْهُنَّ لِضَيْقُنَّ عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ حَمَلَ فَاَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُهِنَّ فَاسْتَرْضِعْ لَهُنَّ أُخْرَى ﴿٧﴾ (الطلاق: 4، 6). حيث استبدل كلمة (نساء) بكلمة (أخرى)، فقد أسهم هذا الاستبدال في سبك النص، إذ لا يمكن معرفة أو فهم لفظة (أخرى) إلا بالرجوع إلى الآية السابقة، وبهذا حقق الرّبط بين الجمل في الآيات مما زاد من تماسك النص وترابطه، كما نجد الاستبدال الاسمي الوصفي في عبارة (واللّائي يئسن من المحيض) أي المرأة الكبيرة في السن التي وصلت سن اليأس، واللّائي لم يحضن بمعنى المرأة غير البالغ، وأولات الأحمال بمعنى المرأة الحامل؛ فاخترت التعبير الوصفي المرتبط بالحالة البيولوجية للمرأة بدلا من التصنيف العمري، فالاستبدال يحقق دقة المعنى إذ يحدد الفئة المقصودة بدلالة طبيعية مما يجنب الغموض في الحكم الشرعي.

ومن ذلك أيضا في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شَتَّاءٌ وَقَدَرُمُوهُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَأَنْتُمْ اللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنْكُمْ مُلْقَوُهُ وَيَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: 223). فقد حصل استبدال اسمي في الآية الكريمة بين لفظ (نساءكم) ولفظ (حرتكم) إذ حل الاسم (حرت) محل (نساء) ما منح الخطاب بعدا دلاليا يراعى فيه مقاصد الخطاب فالحرث يحيل إلى مكان الرزق والانبثاق بما يعزز غاية الزواج في الإنجاب دون التصريح بالفعل مباشرة، وهذا الاستبدال يؤدي وظيفة بلاغية دلالية ترفع من قيمة العلاقة الزوجية من مجرد شهوة إلى مشروع خلقي وإنساني.

3. 2. 2 استبدال فعلي: وفيه يحل فعل محل فعل آخر متقدم أو متأخر عليه. ونجده في سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَوَسَّعَ وَلَمَّا لَمَّ بِأَمْرِهِ لَيْسَ جَانًّا وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ (يوسف: 32). ففي هذه الآية تبرّر امرأة العزيز لنفسها، وترفع اللوم عنها الذي أثاره مكر النسوة، فاستبدل الفعل (استعصم) بالفعل (يفعل)، فالاستعصام هو دليل على الامتناع والحفظ الشديد الذي كان عليه سيدنا يوسف عليه السلام، وعدم تفكيره في الفحشاء برهان على أنه برئ، والسّر في هذا الاستبدال التنويع في اللغة فهذا وجه من وجوه الإعجاز اللّغوي في القرآن الكريم في بلاغته وبيانه.

3. 2. 3 استبدال قولي: وفيه تُستعمل عناصر مثل: ذلك، لذلك، تلك بدلا عن قول كامل (خطابي، 1991م، صفحة 20)، إذ تقوم هذه المفردات عن جملة أو جمل كاملة ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ

مِنْ بَعْدَ حَتَّى تَكْخَ رَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ طَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَفَإِنَّكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ (البقرة: 230)، فقد جاء العنصر الاسمي (تلك) بديلا عن تكرار الكلام السابق في الآيات السابقة وهو (أحكام الطلاق)، وذلك تجنباً للتكرار واختصاراً للكلام، وبهذا الاستبدال ربط بين أجزاء الكلام بربط السابق باللاحق، وحافظ على استمرارية المعنى في النص ككل. وترجع أهمية الاستبدال في أنه يحقق التماسك والترابط النصي من خلال إحلال عنصر لغوي مكان آخر مما يؤدي في تنويع في اللغة.

3.3 الحذف Ellipsis: هو ظاهرة لغوية موجودة في جميع اللغات الإنسانية وهو عبارة عن إسقاط جزء من الكلام دون المساس بالمعنى المراد تبليغه، فهو «استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يُعَدَّل بواسطة العبارات الناقصة» (ديبوجراند، 1998م، صفحة 301)، وبهذا فإن الحذف يتطلب من المتلقي بذل جهد ذهني أكبر لسد الفجوة التي يخلقها غياب العنصر اللغوي داخل النص وهذا ما يؤكد ديبوجراند بقوله «يتطلب الإيغال في الحذف جهداً أكبر لربط نموذج العالم التقديري للنص ببعضه ببعض في الوقت الذي يقتطع من البنية السطحية بشدة» (ديبوجراند، 1998م، صفحة 345)، ولهذه الظاهرة في اللغة دور كبير خاصة في اتساق الكلام. وينقسم الحذف إلى ثلاثة أقسام هي:

3. 1 الحذف الاسمي: وهو لا يقع إلا في الأسماء المشتركة ومثاله في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْ يَسِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٥٠﴾﴾ (الطلاق: 04). ففي الآية الكريمة حذف خبر المبتدأ وهو جملة من مبتدأ وخبر، والتقدير: (واللّائي لم يحضن فعَدَّتْهُنَّ ثلاثة أشهر) أي "مثلهن" حيث حذف الخبر لدلالة السياق عليه إذ ذكرت عدتهن في الشطر الأول، أي أن عدتهن (اللاتي لم يحضن) ثلاثة أشهر مثلهن مثل (اللاتي يسِّن من المحيض)، والحذف الثاني في قوله (أولات الأحمال) عدتهن أن يضعن حملهن؛ فجاء التركيب محققاً للسرعة في الانتقال بين أصناف النساء التي ذكرت مع الحفاظ على وضوح المعنى من خلال القرينة السياقية، فوظف الحذف للإيجاز والمحافظة على التماسك النصي والانسجام الدلالي.

3. 2 الحذف داخل شبه الجملة: مثل قوله تعالى: ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (الروم: 4)؛ أي (لله الأمر من قبل ذلك ومن بعد).

فالقرآن الكريم فيه لغة الإيجاز، وفي تلك اللغة يترك لذهن المتلقي العنان لتقدير المحذوف، فالحذف يسهم في تحقيق التماسك النصي ليس فقط بين عناصر الجملة الواحدة في الآية الواحدة بل في أكثر من آية وأكثر من سورة مما يجعل القارئ يتفاعل مع النص القرآني ويقدر المحذوف. ومثال ذلك في القرآن الكريم في سورة القصص قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (القصص: 07). ففي الآية الكريمة حذف قولي يقدره القارئ من سياق القصة. أي «فأرضعته وخافت عليه، فألقته في اليم غير خائفة ولا حزينة متأكدة من وعد الله، فرأى جنود فرعون الصندوق الذي فيه موسى عليه السلام، وهو على سطح الماء فالتقطوه، فهذه أحداث ثانوية حذفت ويدركها المتلقي من خلال إدراكه لسياق القصة، فالخطوط الأساسية لأحداث القصة تمثل هي الأخرى دليلاً على المحذوف من أحداث ثانوية فالمحذوف هنا يحقق التماسك، لا بين السابق واللاحق فحسب، بل بينهما وبينه أيضاً، فإدراك هذه المحذوفات يمثل رابطاً دلالياً بين الآيتين، إذ بهذا التقدير يستمر التواصل الدلالي بين عناصر النص» (الفقي، 2000م، صفحة 239) الذي أحدثه الحذف.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ (القصص: 10)، فمن حذف الجواب في قوله تعالى (لولا ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) أي (لولا أن ربطنا على قلبها لأبدت به) دلّ عليه قوله تعالى قبله (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به)، فحذف للعلم به.

ومن هذه النماذج أيضاً في خطاب القرآن الكريم عن المرأة في الحذف الاسمي في سورة آل عمران في دعاء امرأة عمران قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ (آل عمران: 35، 36). حيث يحذف المضاف إليه إذا كانت "ياء" المتكلم مضافاً إلى "رب"، حيث حذف المضاف إليه تخفيفاً وتلهاً على تحقق المدعو به إذا كان دعاء. كما نجد في الآية الكريمة (35) حذف حرف النداء، وهو في القرآن الكريم كثير حيث كثر حذف "يا" في القرآن من الرّب تنزيها وتعظيماً لأنّ في النداء طرفاً في الأمر، وتوحي بشدة القرب الإلهي (أبوشادي، د.ت)، (صفحة 104)، تحذف حرف النداء في الدعاء لأنّ حرف النداء "يا" تستخدم للبعيد، أما عند التضرع بالدعاء لله عزّ

وجل تحذف "الياء" في (يارب) مصداقا لقوله تعالى: ﴿إني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان﴾، لأن الله قريب من عباده.

وقال تعالى: ﴿إني وجدتُ امرأةً تملكُهُم وأوتيت من كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (٣٦) قَالَتْ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٣٧) (النمل: 28، 29). في الآية حذف قولي والتقدير فذهب به فألقاه إليهم فأخذت الكتاب فقرأته فقالت يا أيها الملاء إني ألقى لي كتاب كريم، فحذفت الأحداث من القصة في الآية الكريمة فبدلاً من سرد التفاصيل الجزئية انتقل إلى النتيجة وهي استلام الملكة الكتاب وهذا الحذف أضفى سرعة وحيوية على السرد وأضاف لها عنصر التشويق إذ يثير الحذف فضول المتدبر لمعرفة مجريات الفاصل الزمني غير المروي، ما يزيد من تفاعله مع النص وربط أحداثه السابقة باللاحقة.

3. 4 الربط: يعد الربط من أهم وسائل التماسك النحوي، فهو علاقة وصل مباشرة تربط بين الكلمات في الجملة أو الجمل فيما بينها داخل النص بعلاقات منطقية لفظية ومعنوية (إسنادية)، حيث أن «الربط يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات، إن الصور التي تتربط بواسطة مطلق الجمع Conjunction والفصل Disjunction والاستدراك Contrajunction يحسن أن تعد ذات نظام سطحي متشابه» (ديبوجراند، 1998م، صفحة 346).

فالربط يُمكن من استحضار مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظية التي تربط الجمل داخل النص ليصبح بنية مترافعة كالظروف (مع ذلك، رغم)، والعطف (و، ف...)، والاتباع / الصلة (لأن، بما أن)، هذه الأدوات تؤدي دوراً من حيث إنها تضيف الاتساق على النص، وصنفت هذه الأدوات إلى أربعة أصناف حسب وظيفتها في وصل أجزاء النص بعضها ببعض وهي:

3. 4. 1 ربط مطلق الجمع: يربط مطلق الجمع Conjunction بين صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما وأشهر أدوات هذا النوع "الواو". ومن ذلك في القرآن الكريم كثير نحو قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطَاتٍ تَحِبَّاتٍ عَبْدَاتٍ سَاهِيَاتٍ تَبْكِينَ وَأَنْبَارًا﴾ (التحریم: 5). نلاحظ في هذه الآية الكريمة تعدد الصفات من غير حرف العطف في (مسلمات، مؤمنات، قانتات، عابدات، سائحات، تبات) على نسق الجمع المطلق، ولما تقابلت (الثيب والبكر) جاء فصلهما بحرف العطف "الواو" إذ لا يمكن أن تكون المرأة ثيباً وبكراً في آن واحد، فكل صفة مستقلة من جهة المعنى لكنها مرتبطة بسابقتها.

والمتأمل في الصفات الأولى (مسلمات، مؤمنات، قانتات، عابدات، سائحات) هو جمع للصفات الإيمانية الخلقية الروحية والسلوكية ويمكن أن تجتمع هذه الصفات في المرأة وجاءت مجتمعة من غير حرف نسق، بينما الصفات (ثيبات وأبكار) هي سمات خلقية بيولوجية ولا يمكن أن تجتمع في المرأة إذ لا يمكن أن تكون المرأة ثيبا وبكرا في الوقت نفسه ففصلت بالواو .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝ فَبِأْتَاهُ إِحْدَهُمَا تَمَشَّى عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ ابْنِي يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝﴾ (الفصل: 23، 25)، احتوت الآيات (23، 25) على مجموعة من أدوات الربط تمثلت في الربط الإضافي في بداية الآية (23) بحرف العطف "الواو" في قوله (ولما ورد)، الذي أسهم في استمرارية الأحداث في القصة وترابطها وربط السابق مع ما سيأتي من أحداث لاحقة. بالإضافة إلى ورود حروف أخرى مثل: حرف الجر "حتى"، والواو أيضا في (ووجد، وأبونا، وقص)، و"الفاء" التي تكررت أربع مرات في (فسقى، فقال، فلما جاءه، فجاءته) والتي تفيد الترتيب الزمني في أحداث القصة ما يجعل المتلقي يتفاعل مع الأحداث بتسلسل.

نلاحظ في هذه الآيات أن الروابط تعددت وتنوعت، حيث أسهمت كلها في ربط الجمل وترتيبها وجعلها متماسكة، كما أسهمت في تسلسل الأحداث وترابطها وربط اللاحق منها بالسابق والعكس. فوظيفة هذه الروابط الشكلية والدلالية تحقيق الترابط بين مشاهد هذه القصة وأحداثها المتنوعة، وتسهم في ربط دلالات النص وعانيه من خلال ربط الأحداث.

كما نجد أيضا في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَهُمَا فَتُكْذَرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى ۝﴾ (البقرة: 282). نقول أن من طبيعة المرأة النسيان، فالمرأة أسرع في النسيان من الرجل، فقد جاء في معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "النساء ناقصات عقل ودين" حيث بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن نقصان عقل المرأة من جهة ضعف حفظها وشهادتها، فشهادة المرأة تعدل نصف شهادة الرجل كما جاء في الآية الكريمة لذلك فقد جاء تعليل

ذلك قوله (أن تضلّ) أي تنسى، (فتذكر إحداهما الأخرى) فربط بحرف العطف "الفاء" مما أفادت الترتيب والتذكير يكون حال النسيان. وبهذا يتجلى دور هذه الأدوات في تقوية الروابط بين الجمل وحتى النصوص.

ومن الربط بالواو في قوله تعالى: ﴿كُلِّيْ وَآشِرِيْ وَقِرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيْ إِنَّيْ نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ۝﴾ (مريم: 26). أدى الواو هنا وظيفة الوصل إذ ربط بين سلسلة الأفعال في سياق متتابع (كلي واشري وقري عينا)، وجاءت هذه الأفعال محملة بالطمأنينة والاستعداد لما سيحدث (فإما تترين) بدلا من الخوف.

3. 4. 2 ربط التخيير: يربط التخيير Disjonction بين صورتين متشابهتين، ويتم اختيار إحداهما دون الأخرى باستخدام الأداة "أو" مثلا. في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ مَا أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝﴾ (الطلاق: 2). نلاحظ أثر أداة التخيير "أو" في ربط النص وقد تضمن معنى التخيير ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾، فالخطاب هنا خطاب تخيير للذين يطلقون زوجاتهم بأنهم مخيرون بأن يمسكوهن بمعروف أي يعزم الزوج على إمساكها بما يجب لها من الثقة والكسوة والسكن وحسن مصاحبتها والإحسان إليها، أو يفارقوهن بمعروف، أي أن يعزم الزوج على تركها حين تخرج من العدة. فاستعملت الأداة أو لتدل على التخيير الحقيقي بين فعلين متقاربين (الإمساك والمفارقة) وكلاهما مشروط بقيد (بالمعروف) ويؤدي الربط هنا وظيفة اتساقية حيث يضبط العلاقة بين الخيارين ويمنع التداخل أو الغموض في الدلالة، ف"أو" هنا تفيد التخيير مع الإلزام باتخاذ القرار.

3. 4. 3 ربط الاستدراك: يكون ربط الاستدراك بين صورتين من صور المعلومات بينهما علاقة تعارض ويمكن استعمال الأدوات: لكن، بل، مع ذلك... ومثال ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ لِأَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۝﴾ (الطلاق: 1). فقد ورد الربط العكسي بالأداة (إلا أن) في الآية الكريمة وحققت الربط بين صورتين متعارضتين الأولى قوله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ والثانية ﴿يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ﴾، فالمعنى في الجملة الأولى

مخالف للمعنى في الجملة الثانية حيث أذن بخروجهن بسبب ارتكابهن للمعصية، فاستدرك ب (إلا أن) ليربط بين الجملتين، فالربط العكسي يحافظ على وحدة الموضوع من خلال استحضار المرجع المؤنث (المطلقات) في بداية الآية.

3. 5 التكرار: هو أكثر الوسائل شيوعاً في اللغة نظراً لتعدد أشكاله و« هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عاماً» (خطابي، 1991م، صفحة 24). إذ أن العنصر المكرر يُسهّل عملية الفهم ويؤكد سابقه «ويمكن للعناصر المعادة أن تكون هي نفسها أو مختلفة الإحالة أو متراكبة الإحالة ويختلف مدى المحتوى المفهومي الذي يمكن أن تنشطه هذه الإحالات بحسب هذا التنوع» (ديبوجراند، 1998م، صفحة 301)، أي أن التكرار يتنوع بناءً على طبيعة العنصر المكرر إلى عدة أنواع هي: التكرار المحض أو الكلي: وله نوعان هما: التكرار مع وحدة المرجع (أي المسمى واحد)، والتكرار مع اختلاف المرجع (أي المسمى متعدّد)، التكرار الجزئي، والتكرار المرادف، وتكرار لفظ الجملة أو ما يعرف بالتكرار الجراماتيكي.

وقد تجلّى التكرار في سور الذكر الحكيم التي تناولت المرأة كثيراً؛ حيث تكرّرت لفظة النساء في سورة النساء (68 مرة) منها تكرار المحض، والجزئي والمرادف، وقد تكرّرت من مطلع السورة حتى نهايتها (من الآية 01 إلى الآية 176)، في الآيات (1، 3، 4، 7، 11، 13، 15، 19، 20، 22، 23، 24، 25، 32، 34، 167، 168، 169، 176) ويمثل هذا نمطاً من أنماط التكرار وهو ردّ العجز على الصدر ومن ثم يصبح النصّ القرآني _سورة النساء_ وحدة دلالية واحدة من خلال الترابط النصي الذي يحدثه تكرار لفظ النساء. ومثال ذلك في التكرار المحض قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ۚ﴾ (النساء: 3، 4).

كما أننا نجد تكرارها في سور أخرى عديدة. ومن ذلك أيضاً في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَابْغَوْا لِهِنَّ مَا كُنَّ يُعْطِينَ عَلَىٰ نِكَاحِهنَّ وَكُلْنَ مِنْهُنَّ مِمَّا كُنَّ يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: 231، 232)، ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ (البقرة: 237)، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ (الطلاق: 1). فقد ورد تكرار عبارة (إذا طلقتم النساء) في سورة البقرة ثلاث مرات، والتكرار الذي تعدّى السورة الواحدة إلى مستوى سورة أخرى وذلك مثل تكرار

نفس العبارة (إذا طلقتم النساء) في سورة الطلاق، وهذا للتأكيد والحث على تطبيق أحكام الطلاق؛ فهذا يتحقق الترابط النصي والتناسب بين الآيات في السورة الواحدة وبين السورة والسورة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ ﴿١٠﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ ﴿١٢﴾ (الممتحنة: 10، 12). فنكرت لفظة (المؤمنات) وهو تكرار محض يفيد التوكيد.

ومما جاء في قصة سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام ومرأوة امرأة العزيز له، على لسان العزيز ووصفه لكيد النساء بالعظمة قوله: (من كيدكن إن كيدكن عظيم). في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ ﴿٨٨﴾ (يوسف: 28)، حيث تكررت لفظة (الكيد) في السورة (في الآية 33، و34، و50) على لسان سيدنا يوسف عليه السلام في الدعاء (إن تصرف عني كيدهن)، (فصرف عنه كيدهن)، (إن ربي بكيدهن عليم)، وفي هذا التكرار إشارة لوصف شدة كيد النساء.

كما تكرر فعل (راود) في الآيات (23، 26، 51)، في الصيغ التالية (وراودته، هي راودتني، راودتن، راودته). فنكرت الفعل يعني تكرار طلب الفعل، وتأكيد مراودة النسوة وامرأة العزيز ليوسف عليه الصلاة والسلام عن نفسه وبيان براءته.

يعتبر التكرار نوعاً من أنواع الترابط النصي بين سور القرآن الكريم، «فالتكرار... يؤدي إلى تحقيق التماسك النصي، وذلك عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص حتى آخره، وهذا العنصر قد يكون كلمة أو عبارة أو جملة أو فقرة، وهذا الامتداد يربط بين عناصر هذا النص مع مساعدة عوامل التماسك النصي الأخرى» (الفقي، 2000م، صفحة 22).

وتبرز قوة النظم في جمالية التكرار في سورة الرحمن في وصف نساء الجنة في قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْظُرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَانَهُنَّ أَلْيَافُوتٌ وَلَمْرَجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ (الرحمن: 56-58)، وقوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾﴾ (الرحمن: 72-74).

فتكرار قول الله عز وجل في سورة الرحمن: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ من أبرز النماذج التي يتجلى فيها الإعجاز البياني في القرآن الكريم، فهذا التركيب النحوي والدلالي، وإن بدا بسيطاً في ظاهره، ينطوي على نظام فني معقد يزوج بين النسج الإيقاعي والدقة الدلالية، ويؤدي وظيفة جمالية وتعبيرية تتجاوز الإخبار إلى الإيحاء والإمتاع الفني.

هذا الوصف الفريد لجمال نساء الجنة، يُعبّر عنه بأسلوب مزدوج يجمع بين النفي والتكرار، ويُلاحظ أن العبارة ﴿لم يطمئنهن إنس قبلهم ولا جان﴾ تكررت مرتين في سورة الرحمن، مقترنة في كل مرة بوصف مختلف لنساء الجنة. ففي المرة الأولى تأتي عقب الحديث عن الحور المقصورات في الخيام، وفي الثانية بعد الحديث عن قاصرات الطرف، وهو ما يدل على ارتباط المقصود بالمطابقة والإشارة إلى وصفين مختلفين في المستوى الجمالي، لكنهما يتحدان في خاصية الطهر والنقاء.

وتكرار هذه الآية في السياق ذاته لا يعد تكراراً لفظياً فحسب، بل يحمل قيمة بلاغية عالية، تنبني على تنويع الأسلوب وإبراز الجمال والتمايز بين نوعين من نساء الجنة. فالحور المقصورات في الخيام لسن كقاصرات الطرف، بل يتفوقن عليهن من حيث التفرد بالحسن والطهر والنعيم الخالص، ولذلك جاء التأكيد على عدم مسّهن من أي مخلوق من الإنس أو الجن كإثبات أعلى لصفاء هذا النعيم.

وتتجلى جمالية التكرار في أفراد كل وصف بوحدة مستقلة، فذكر ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ يقترن بنفي الطمّث مباشرة، ليؤكد أنهن أ بكر معزولات في أماكن نقية. وفي الموضع الآخر، تُذكر ﴿قاصرات الطرف﴾ بوصف خُلقي يعكس العفة، ثم يُتبع بالعبارة نفسها ﴿لم يطمئنهن إنس قبلهم ولا جان﴾، مما يدل على وحدة المعنى (الطهر) مع اختلاف السياق والموصوف.

ومن هنا يتبيّن أن هذه الآية - رغم تكرارها اللفظي - ليست تكراراً تقليدياً، بل تكراراً وظيفياً ذا قيمة دلالية وجمالية، يخدم النسق البلاغي العام في سورة الرحمن، ويرتقي بالمعنى إلى مستوى التعبير الكامل عن الطهر والنعيم والجمال المطلق في وصف نساء الجنة.

3. 6 التّضام المعجمي: هو عنصر من عناصر الاتّساق المعجمي يأتي بعد التكرار ويسمى المصاحبة اللّغوية «ويعنى بها العلاقات التي تربط بين بعض الوحدات المعجمية المنفردة، وهو ارتباط يعتاد أبناء اللّغة وقوعه في الكلام، بحيث يمكن توقّع ورود كلمة محدّدة في النّص من خلال ذكر كلمة أخرى فيه، وتتميّز تلك الظاهرة بعدم افتقارها إلى مرجعية سابقة أو لاحقة كما كان الحال معروفا بالنسبة للعناصر السّابق ذكرها» (الفتحي، 2000م، صفحة 33، 34)، وتتّوّع العلاقات التي تربط بين بعض الوحدات المعجمية في النّص بتنوع السّياق الذي ترد فيه، بحيث يمكن تقسيم التّضام المعجمي على الأقسام الآتية: علاقة التّعارض: مثلما الأمر في أزواج كلمات مثل: ولد. بنت/ جلس/ وقف.... وعلاقة الكل بالجزء، أو الجزء بالجزء: بيت/ نافذة، وعلاقة القسم العام: مثل: كرسي وطاولة (وهما عنصران من اسم عام هو التّجهيز) (خطابي، 1991م).

وتتحكم طبيعة العلاقة بين الوحدات المعجمية في تحديد نوع الكلمات التي تستدعي بعضها، والمصاحبة اللغوية قد تتسع لتشمل ما يتجاوز زوجا من الكلمات، والملاحظ أنَّ العلاقات التي تربط بين الكلمات المتصاحبة في التّضام المعجمي- بعده عنصر من عناصر الاتّساق- هي نفسها التي تعرف بالعلاقات المجازية مثل: الكآبة والجزئية، وفي البديع نجدها في الطّباق والتوازي والمقابلة نحو قوله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أُمْرَاتٌ نُوحٍ وَأُمْرَاتٌ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنَبْهَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمْرَاتٌ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ (التحریم: 10، 11).

ففي القرآن الكريم نجد نماذج كثيرة عن المرأة زوجة، وبنات، وأختا، وأما (كامرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وعائشة رضي الله عنها) وضرب الله سبحانه وتعالى مثالا عن المرأة المؤمنة التي تحب زوجها الذي كان من أعظم ملوك الأرض بجبروته بقوة إيمانها (امرأة فرعون)، وأصبحت المثل للمؤمنين والمؤمنات والنموذج الأمل لل قوة الإيمان الإنسانية، ولتنضج الصورة أكثر ضرب الله سبحانه وتعالى نموذجا آخر للكفر بالمرأة الكافرة بقوله تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح ولوط) حين قابل بين الكفر والإيمان بنماذج عن المرأة. فقابل بكلمة "آمنوا" بكلمة "كفروا"، ويقابل بين "امرأة نوح ولوط" بالكلمة "امرأة فرعون".

كما يتجلى في هذا النص القرآني توازيا صوتيا إذ «أنَّ ألفاظ الفقرة الأولى جاءت متّقة ترتيبا مع ما يقابلها ويوازيها من ألفاظ الفقرة الثانية في التوازي وهذا حقق سبكا صوتيا لأنَّ أصوات الفقرتين متنوعة ولم يحصل بينها تنافر صوتي، وهذا التقابل والتوازي له مزية نصية فهو ليس قائما على المشابهة والتعارض بل التعاقب المتنامي لوحدات النص، بحيث ينتقل من وحدة إلى أخرى من دون إحساس بالنفور أو انفصال بينهما» (العربي، 2015م، صفحة 36). ولهذا التوازي أثر في سبك النص كونه يسهم في تحقيق الارتباط والتناسق بين مباني أجزاء النص.

كما نجد الثنائيات الضدية في خطاب القرآن الكريم عن المرأة بكثرة في العديد من السور، وسنعرض لنماذج منها في سورة النساء، حيث وردت مجموعة من الكلمات المتضادة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 01). فوردت علاقة التضاد بين كلمتي رجالا ونساء في سياق الحديث عن أصل الخلق

الإنساني من نفس واحدة وزوجها، وهذا التضاد لا يقصد به مجرد التقابل اللفظي بل يحمل دلالة بلاغية إذ يجسد التكامل بين الجنسين في بناء المجتمع الإنساني ففصل الجنسين لتتكامل وظائفهما، كما أن هذا التضاد حقق اتساقا في البنية النصية للآية وربطها بالآيات التي بعدها ويمهّد لأحكام شرعية لاحقة تتعلق بالأسرة والمرأة والحقوق في مقابل الرجل (أحكام الميراث)، وهو ما منح الخطاب شحنة دلالية متوازنة، والتضاد هنا حقق تماسكا نصيا ودلالة اجتماعية في الوقت نفسه، فخدم المعنى وربط الآية بالآية، وناغم بين البعد اللساني والبلاغي في النسيج القرآني.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ءِآبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۝﴾ (النساء: 11، 12). وفي قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَعَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝﴾ (النساء: 32)، وفي قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ...﴾ (النساء: 34).

ففي هذه الآيات نجد تضاماً بعلاقة التعارض في الآيتين (11، 12) بين (الذكر والأنثى، رجل وامرأة، أخ وأخت) وفي علاقة الجزء بالجزء (بين الثلث والسدس، آبائكم وأبنائكم)، كما نجد في الآيتين (32، 34) علاقة التعارض بين (الرجال والنساء) (اكتسبوا، اكتسبن)؛ فصيغة التعارض لم تستخدم للمفاضلة بل للموازنة فصياغته المتوازنة بين الطرفين يضفي على الآية بعداً جمالياً ونظاماً منطقياً في عرض المعنى، فالله سبحانه وتعالى بين ما للمرأة من حقوق في الميراث وما للرجل بالعدل.

وما ورد في علاقة التلازم في قوله تعالى: ﴿مُحْصَنَاتٌ غَيْرُ مُسْلِفَحَاتٍ ۝﴾ (النساء: 25)؛ فاجتماع صفتين في تركيب واحد يحقق التلازم المعجمي من خلال الجمع بين الإثبات والنفي (إثبات العفة ونفي الفاحشة)، وهذا الأسلوب يجعل القارئ يكون صورة ذهنية مركبة ومتربطة.

وتحقق التضام أيضاً من خلال عناصر الصنف العام في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي

أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأَمَهَلْتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَّيْكُمُ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلِيلُ آبَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ (النساء: 23). حيث نجد مجموعة من الكلمات تنضوي تحت تصنيف عام وهو المحرمات من النساء (أخواتكم، أمهاتكم، بناتكم، خالاتكم، بنات الأخ، بنات الأخت، ربائبكم). فهذه العلاقات بين الألفاظ تسهم في تحقيق بلاغة ترابطية، إذ تؤدي دلالاتها المتعارضة، أو المتقابلة دورا في تعزيز التماسك النصي، فالتضاد يكشف المعنى ويزيده وضوحا، كما أن اقتران الألفاظ المتضادة داخل السياق يخلق قوة ترابطية حين تظهر ضمن جمل مجاورة.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ (الأحزاب: 59). فلفظة (أزواجك وبناتك) تدرج تحت صنف عام وهو النساء، وفي قوله (نساء المؤمنين) أي (كل أنثى أو امرأة)، وهذا التدرج المقصود للأسماء ولد بنية دلالية تحمل تدرجا حاجيا، فالنص وظف التخصيص (أزواجك وبناتك) بعد التعميم (نساء المؤمنين) ليهيئ للحكم الشرعي الموجه للنساء جميعا (يُدْنِينَ عليهن من جلابيهن).

4. خاتمة:

أسفرت الدراسة التي انصبت على تحليل ظاهرة: الترابط النصي في الخطاب القرآني المتعلق بالمرأة عن جملة من النتائج أهمها:

- أن القرآن الكريم يمثل نموذجا فريدا للإعجاز البياني، لما يزر به من جماليات أسلوبية وبنى دلالية مترابطة تجعل كل دراسة أو مقارنة علمية تتصف بالقصور وعدم الكمال لجماليته وتناسق آياته، فبالرغم من وفرة الدراسات القرآنية واللغوية والعلمية، يبقى العجز يضاف طابعه على كل المحاولات التي تسعى للكشف عن هذا السر الإلهي في ترابط آياته وتماسك سوره، وتنوع أساليب الإعجاز في
- وقد تمخض من دراسة هذه الآليات في القرآن الكريم وتحديد الآيات المتعلقة بالمرأة والتطبيق العملي عليها من خلال استقراء وسائل الاتساق النحوي والمعجمي والمتمثلة في (الإحالة، والحذف، والاستبدال، الربط، التكرار والتضام) للكشف عن مدى فاعليتها في تحقيق الترابط على مستوى البنية النصية والدلالية للآيات والسور.

- مثلت الآيات المختارة أنموذجا بسيطا لما يتضمنه القرآن الكريم من تنوع في الخطابات الواردة في شأن المرأة بصيغه المتنوعة، ويعكس هذا التنوع دلالة واضحة على أنّ الله سبحانه وتعالى قد منح المرأة مكانة رفيعة، تستوجب الاعتزاز بها وإدراك قيمتها في المجتمع المسلم، ويتجلى في النص القرآني عدد من الحوارات المباشرة وغير المباشرة للمرأة، إضافة إلى ذلك ما ورد من قصص النساء المؤمنات جعلن من الطاعة والإيمان والأخلاق نماذج عليا يحتذى بها، وقصص أخرى للعبارة.
- تجلت وسائل الاتساق النحوي والمعجمي في الآيات والسور التي اتخذت من الموضوعات المتعلقة بالمرأة محورا دلاليا يتوزع في سياقات متعددة، لكنه يظل محافظا على وحدة المعنى ووضوح المقصد من خلال شبكة من الروابط النصية، وتجلى هذا التماسك في مرجعية الضمائر الإحالية، إذ يكثر فيها استخدام الضمير المؤنث الذي يعود على مرجع محدد في السياق، مما يحقق تماسكا نصيا وانسجاما دلاليا ويعمل على ربط السابق باللاحق كما في الإحالة إلى المرأة بصفاتها الزوجية، الأم، المطلقة، المرضعة، المؤمنة، الكافرة، البنت، الأخت...، أو بمرادفها (النساء)، وأسهمت الإحالات بأنواعها في إحكام البناء النصي بين الآيات والسور، والملاحظ أنّ الإحالة وردت في كل النصوص القرآنية التي تناولت المرأة.
- أدى الربط وظيفته اتساقية؛ حيث أسهم في إحكام النسيج النصي وتوحيد أجزائه وتحقيق التكامل بين الآية والآية في السورة الواحدة وبين السورة والسورة، ويُبقي المرجعية الدلالية واضحة للقارئ، فالربط بأنواعه من عطف (الفاء، والواو)، واستئناف واستدراك، فلا نكاد نجد آية أو سورة تخلو من الروابط.
- شكل التكرار عنصرا بنائيا في السور، والآيات حيث تكررت الألفاظ والتراكيب مكونة شبكة من الوحدات الدلالية المترابطة خدمت الإطار الموضوعي العام المتضمن سياق المرأة الأمر الذي ساعد على إبراز الأحداث وعزز تأكيد الأحكام، وتثبيت المعاني في ذهن القارئ. كما اتكأت السور على المقابلات اللفظية والمعنوية بوصفها آلية دلالية عمقت المعنى وجعلت النص أكثر وضوحا وثراء معجميا ودلاليا.
- وفي الأخير يمكن أن تكون هذا الدراسة أساسا لبناء أبحاث تتناول الموضوع من زوايا أعمق، كالبحث في:
 - الانسجام النصي في القرآن الكريم -دراسة تطبيقية في خطاب المرأة-.
 - البنية الحجاجية في خطاب القرآن الكريم عن المرأة -مقاربة تداولية-.
 - القصيدة في الخطاب القرآني عن المرأة - سورتي النساء والبقرة أنموذجين-.

5. قائمة المراجع:

1. أحمد غفيفي. (2001م). اتجاه جديد في الدرس النحوي النصي. مصر: مكتبة زهراء الشرق.
2. الطيب العزاوي قواوة. (2012م). مفهوم التماسك النصي عند القدامى والمحدثين. مجلة علوم اللغة العربية وآدابها (4ع)، 186 - 196.
3. حسين جميل عبد المجيد. (2003م). علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية. مجلة عالم الفكر (2ع).
4. روبرت ديوجراند. (1998م). النص والخطاب والإجراء. مصر: عالم الكتب.
5. سالم بن محمد المنظري. (2015م). الترابط النصي في الخطاب السياسي دراسة في المعاهدات النبوية. عمان: بيت العشام للنشر والترجمة.
6. سعد مصلوح. (1991م). نحو آجرومية للنص الشعري "دراسة في قصيدة جاهلية". مج 10 (01).
7. صبحي إبراهيم الفقي. (2000م). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق "دراسة تطبيقية على السور المكية". مصر: دار قباء للطباعة والنشر.
8. عبد الله العربي. (2015م). بلاغة التوازي في السور المدنية. رسالة ماجستير. الجزائر: جامعة وهران.
9. ماري نوال غاري بريور. (2007م). المصطلحات المفاتيح في اللسانيات. الجزائر: لا يوجد.
10. محمد خطابي. (1991م). لسانيات النص "مدخل إلى انسجام الخطاب". لا يوجد: المركز الثقافي العربي.
11. مصطفى عبد السلام أبوشادي. ((د.ت)). الحذف البلاغي في القرآن الكريم. مصر: مكتبة القرآن للنشر والتوزيع.